مظاهر العنف ضد المرأة في الرواية النسوية

(رواية امرأة عند نقطة الصفر أنموذجا)

أعداد : د. مرتضى بابكر أحمد عباس

الأستاذ المشارك بجامعة وادي النيل: كلية التربية ، قسم اللغة العربية، جمهورية السودان.

البريد الإلكتروني: alfadlapi70@gmail.com

المستخلص:

تشكل الرواية النسوية نقطة تحول في ثقافة المجتمعات العربية التي تنظر في الغالب إلى المرأة نظرة دونية وإلى أنها أشبه بالعورة التي يجب سترها كما أنها كائن ضعيف عاجز أمام السلطة الذكورية. إلا أنه وفي الستينات من القرن الماضي ظهرت المرأة كصوت معبر عن الهموم النسائية مدافعا عن حريتهن وكرامتهن وحقهن في العيش بسلام، لتؤكد الرواية النسوية أنها ليست بمعزل عن الواقع وأن المرأة لم تعد ذلك الكائن المغلوب على أمره.

الكلمات المفتاحية:

الرواية، السلطة الذكورية، حقوق النساء

***Abstract*:**
The feminist novel constitutes a turning point in the culture of Arab societies, which often view women as inferior and more like an awrah that must be covered, as well as a weak and helpless being in the face of patriarchal authority. However, in the sixties of the last century, women emerged as a voice expressing women's concerns, defending their freedom, dignity and right to live in peace. The feminist narrative confirms that it is not isolated from reality and that women are no longer that subjugated being.

key words:

The novel, male power, women's rights

المقدمة:

بدأ الحديث عن الحركة الأدبية النسوية مع مطلع القرن العشرين، وقد كان إسهام المرأة في القصة والرواية إسهام غائب حتى الخمسينات من القرن الماضي(أبو زيد، 2015م، ص97).

لم يقتصر الخطاب النسوي في الفترة الأخيرة على تجسيد ظروف القهر التي تعوق تحرر المرأة داخل المجتمعات الأبوية المنحازة للثقافة الذكورية، إنما انشغل في الأساس بضرورة تمثيل وعي المرأة وإثبات فعاليتها بالمجتمع حتى تخرج عن إطار الوصاية الذكورية وتختفي تدريجيا ثنائية (الرجل، المركز)، و(المرأة، الهامش)، مما سمح للنص النسوي بالخروج عن الصورة النمطية التي ترتكز حول المرأة المنكسرة المهزومة والرجل الظالم المتسلّط، وتجاوزها لتصوير وعي المرأة بذاتها وبدورها الفاعل في وطنها وتعزيز ثقتها في قدرتها على الانتصار لهويتها متعددة الأبعاد، كنواة رئيسة لتحريرها.

ولعل البداية الحقيقة لكتابة المرأة العربية بصفة عامة كانت مع بداية النهضة في القرن الثامن عشر، وتطورت في التسعينيات من القرن العشرين إذ ظهرت أسماء جريئة منها " غادة السمان في سوريا، ليلى عسيرات في لبنان، نوال السعداوي في مصر، وفاطمة المرينسي في المغرب(المناصرة: 2008م، ص73-74) "

وقد شكلت كتابات المرأة التي تبوح خلالها عن تجاربها الذاتية شديدة الخصوصية مواجهة سردية لإنطاق المسكوت عنه من رغباتها المقموعة أو مشاعرها المقهورة من ناحية، ولتحدي المؤسسة الذكورية التي تُقصيها إلى الهامش أثناء سعيها لاحتلال المركز من ناحية أخرى، فقدمت تلك الكتابات في مجملها مشاعر المعاناة والقهر وجوانب التهميش والإقصاء، وعَبرت "الذات" النسوية في نصوصها من حدود الذاتية وانطلقت إلى أفق الجماعية التي تتلاقى فيها تجارب مختلف أنماط النساء في مقاومة القهر الأبوي ومحاولة تمكين المرأة وإيصال صوتها(راحيل:2020م).

وتعد نوال السعداوي أشهر من نادى بتحرير المرأة من قيودها، ومن جهر بالعصيان لما سمته المجتمع الذكوري .

وقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة أن يسلط الضوء على أحدى أشهر روايات الأديبة نوال السعداوي وهي رواية امرأة عند نقطة الصفر التي يقف الباحث من خلالها على قضايا المرأة التي تطرقت لها الرواية وانعكاساتها على المجتمع.

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتناسبه مع طبيعة الدراسة التي جاءت بعنوان :" مظاهر العنف ضد المرأة في الرواية النسوية (رواية امرأة عند نقطة الصفر أنموذجا)

نوال السعداوي نشأتها وحياتها:

ولدت نوال السعداوي في 27 أكتوبر عام 1931م، وهي طبيبة أمراض نفسية، كما أنها كاتبة روائية مصرية مدافعة عن حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص، كتبت العديد من الكتب عن المرأة والإسلام، اشتهرت بمحاربتها لظاهرة تشويه الأعضاء التناسلية للإناث المنتشرة في المجتمع (الختان).

أسست نوال السعداوي جمعية تضامن المرأة العربية عام 1982م، كما ساعدت في تأسيس المؤسسة العربية لحقوق الإنسان، استطاعت نوال أن تنال ثلاث درجات فخرية من ثلاث قارات، ففي عام 2004م حصلت

على جائزة الشمال والجنوب من مجلس أوروبا، وفي عام 2005م فازت بجائزة ايانا الدولية من بلجيكا، وفي عام 2012م فازت بجائزة شون ماكبرايد للسلام من المكتب الدولي للسلام في سويسرا.

شغلت نوال السعداوي العديد من المناصب مثل المدير العام للإدارة والتثقيف الصحي في وزارة الصحة في القاهرة ، والأمين العام لنقابة الأطباء بالقاهرة، غير عملها كطبيبة في المستشفى الجامعي، كما نالت عضوية المجلس الأعلى للفنون والعلوم الاجتماعية بالقاهرة، وأسست جمعية التربية الصحية وجمعية للكاتبات المصريات وعملت فترة كرئيس تحرير مجلة الصحة بالقاهرة ومحررة في مجلة الجمعية الطبية.

أهم أعمالها:

-الوجه العاري للمرأة العربية.

- مذكرات طبيبة.

- أوراق حياتي 2000.

- مذكرات في سجن النساء.

- الزرقاء (مسرحية).

- سقوط الإمام.

- قضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية.

- معركة جديدة في قضية المرأة.

- رواية موت الرجل الوحيد على الأرض.

- تعلمت الحب.

- توأم السلطة والجنس.

- رواية امرأة عند نقطة الصفر.

- رواية الغائب.(حميدي، راقب:2016م، ص22-23)

حول رواية امرأة عند نقطة الصفر:

روية "امرأة عند نقطة الصفر" هي من أكثر الروايات المترجمة لنوال السعداوي، فقد ترجمت إلى أكثر من 40 لغة، وتم تحويلها إلى عمل مسرحي في أكثر من بلد حول العالم، كما حاول مخرجون في دول مختلفة تحويلها إلى فيلم سينمائي، إلا أن السعداوي لم توافق على أي من السيناريوهات التي عرضها هؤلاء المخرجون عليها.

وقد عرفت هذه الرواية عند الغرب باسم (Woman at Point Zero) وترجمت للمرة الأولى قبل 32 عاما، وهي واحدة من أهم الروايات النسوية، التي جسدت معاناة وأزمات المرأة المصرية، حيث أنها تناقش أشكال قهر الرجل للمرأة جسديا ونفسيا، وذلك من خلال شخصية (فردوس)، التي أمضت حياتها متخبطة بين شخصيات مشوهة ومريضة ومزدوجة المعايير في كل ما يخص العلاقات الإنسانية على كل مستوياتها، لتكون فردوس في النهاية شخصية مريضة مثيرة للشفقة، في وحدتها وقهرها، آلامها وحيرتها تبحث في عيون الجميع عن ضوء تتلمس به الظلام، وعلى الرغم من أن ثورتها على الظلم والقهر الذي تعرضت له ومقاومتها كانت سلبية في كثير من التفاصيل إلا أنها كانت بمثابة ثورة على كل ما يربط المرأة بالرجل

ودعوة لإنصاف المرأة من المجتمع الذي يقف مع الرجل بمنحه تلك السلطة التي جعلته يهيمن على المرأة ويمتهن كرمتها ويحولها من كائن ضعيف رقيق إلى كائن مجرم منبوذ أسرياً، مرفوض اجتماعياً.

مظاهر العنف ضد المرأة في رواية امرأة عند نقطة الصفر:

معنى العنف لغة واصطلاحا:

العنف لغة: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، عنف به وعليه ويعنف عنفا وعنافه وأعنفه عنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، واعتنف الأمر أخذه بعنف، وهو بالضم الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخبر ففي العنف من الشر مثله (ابن منظور:1999م، 257/9) والتعنيف التعبير واللوم[6](الرازي: 192/1)، قال ابن فارس: العين والنون والفاء أصل صحيح، يدل على خلاف الرفق، يقال: عنف يعنف عنفا فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره، و اعتنف الشيء أخذه بشدة، والتعنيف التعبير واللوم والتوبيخ و الترفيق (ابن فارس: 1999م، 148/2)

والعنيف: الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل. واعنف الشيء: أخذه بشدة. واعتنف الشيء: كرهه (ابن منظور: 1999م،257/9-258).

أما في الاصطلاح فقد وردت تعريفات عدة للعنف ضد المرأة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

1- يعرفه إعلان القضاء ضد النساء لعام 1993م الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنه:" أي فعل عنيف فيه عصبية الجنس ويترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسدية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة (تلاوي: 2012م، ص11).

2- والعنف ضد المرأة كذلك هو السلوك أو الفعل الموجه إلى المرأة على وجه الخصوص، سواء أكانت زوجة، أو أماً أو أختاً أو ابنة، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، الناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة، بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على حد سواء (فتال: 2002،ص10).

3- والعنف ضد المرأة هو أي عمل مقصود أو غير مقصود، يرتكب بأي وسيلة بحق المرأة لكونها امرأة، ويلحق بها الأذى والإهانة بطريقة مباشرة، ويخلق لديها معاناة نفسية أو جنسية أو جسدية، من خلال الخداع أو التهديد أو الاستغلال أو التحرش أو الإكراه أو العقاب أو أي وسيلة أخرى، وإنكار وإهانة كرامتها الإنسانية أو سلامتها الأخلاقية، أو التقليل من أمن شخصها ومن احترامها لذاتها أو شخصيتها، أو الانتقاص من إمكانياتها الذهنية والجسدية (دراغمه: 2002م، ص12).

4- والعنف ضد المرأة أيضاً هو أي عمل من أعمال العنف القائم على أساس الجنس، يترتب عليه أو من المحتمل أن يترتب عليه أذى بدني أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة، بما في ذلك التهديد بالقيام بأعمال من هذا القبيل، أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة (صالح: 2008م، ص16).

ومن هذه التعريفات نلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للعنف لا يخرج كثيرا عن المعنى اللغوي للكلمة.

ويتخذ العنف ضد المرأة أشكالاً مختلفة، فهنالك العنف الجسدي والعنف النفسي والعنف الاجتماعي والعنف الجنسي والعنف الاقتصادي وتختلف نمطية العنف باختلاف المجتمعات، كما أن العنف ضد النساء والفتيات

يعد أحد أكثر انتهاكات حقوق الإنسان انتشارًا في العالم، حيث يحدث على نحو يومي، مراراً وتكراراً، في كافة أرجاء العالم. وله عواقب جسدية واقتصادية ونفسية خطيرة قصيرة وطويلة الأجل على النساء والفتيات، مما يحول دون مشاركتهن الكاملة والمتساوية في المجتمع. ولا يمكن قياس تأثيره، سواء في حياة الأفراد والأسر والمجتمع ككل.

وقد ظهرت هذه الأنواع بوضوح في رواية امرأة عند نقطة الصفر:

أولا: العنف الجسدي: ويعد أكثر أنواع العنف وضوحاً وانتشاراً، إذ يتم باستخدام وسائل مادية كالأيدي التي من شأنها ترك آثار واضحة على جسد المعتدى عليها (العواودة: 1998م، ص15).

وتسلط الكاتبة الضوء على النظام الأبوي الذي يقوم عليه المجتمع المصري والذي يقوم على علاقة السيطرة والخضوع والهيمنة والتبعية بين الرجل والمرأة أي علاقة استعباد المرأة، هذه الظاهرة تشكل العمود الفقري للنظام، فالمجتمع الأبوي مجتمع ذكوري لا يستطيع تحديد ذاته وهويته إلا من هذا المنطلق، لذلك نجده مفعم بالعداء المتجزر للمرأة وكل ما يتصل بها لدرجة أنه ينفي وجودها الاجتماعي ككائن له ذاته وخصوصيته فالمجتمع الأبوي لا مكانة ولا دور فيه للمرأة سوء لتأكيد تفوق الذكور وهيمنتهم (بابوري: 2015م، ص13).

ويظهر ذلك النظام بوضوح في رواية امرأة عند نقطة الصفر تقول فردوس بطلة الرواية : " حين تموت البنت منهم يأكل أبي عشاءه وتغسل أمي ساقيه وينام ككل ليلة وحين يموت الولد، يضرب أبي أمي ثم ينام بعد أن يتعشى، لم يكن أبي ينام بغير عشاء مهما حدث، وأحيانا حين لا يكون بالدار طعام نبيت كلنا بغير عشاء إلا هو، كانت أمي تخفي طعامه منا في فتحة داخل الفرن، ويجلس يأكل وحده ونحن ننظر إليه، وذات مرة مددت يدي داخل صحنه فضربني علي يدي (السعداوي: 2017م، ص22).

كذلك تحكي فردوس الضرب الذي تعرضت له من قبل زوجها المسن " أخذ يصيح بصوت عال سمعه الجيران، ثم بدأ يضربني بسبب وبغير سبب، ضربني مرة بكعب الحذاء حتى تورم وجهي وجسدي، فتركت بيته وذهبت إلى عمي، لكن قال لي : إن كل الأزواج يضربون زوجاتهم، وزوجة عمي قالت إن عمي يضربها (السعداوي: 2017م، ص37).

وتحكي قصة أخرى بعد رجوعها لمنزل زوجها :" وفي مرة أخرى ضربني بعصاه الغليظة حتى نزف الدم من أنفي وأذني، فتركت بيته ولم أذهب إلى بيت عمي، سرت في الشارع بعيني المتورمتين والكدمات فوق وجهي (السعداوي: 2017م، ص38).

هذه الحادثة كانت هي بداية السقوط الحقيقي لفردوس ونقطة التحول في الرواية .

فقد تعرضت فردوس مجدداً للعنف الجسدي في بيت بيومي الذي التقت به وظنت أنه بمثابة طوق النجاة لها فخاب ظنها. تروي فردوس تفاصيل تلك الحادثة والحوار الذي دار بينها وبين بيومي فتقول مخاطبة له : " أنت وعدتني بأن أبقى حتى تجد لي عملاً، ورد بغضب: وماذا أفعل؟ هل أخلق عملاً؟ قلت: أنت مشغول طول النهار بالمقهى، ولم تبحث لي عن عمل، وسأخرج اليوم لأبحث بنفسي عن عمل. كان صوتي منخفضا، وكنت مطرقة إلى الأرض، لكنه انتفض واقفاً وصفعني على وجهي وهو يقول : أترفعين صوتك على صوتي يا بنت الشوارع يا ساقطة؟ كفه كانت كبيرة قوية، أقوى كف تسقط على وجهي، جعلت رأسي يرتج في الهواء عدة مرات، وضربني بقبضة يده في بطني حتى فقدت الوعي (السعداوي: 2017م، ص40).

ثانيا: العنف النفسي: وهو أي فعل مؤذي للمرأة ولعواطفها نفسياً، دون أن تكون له آثار جسدية مادية، ويشمل الوسائل اللفظية وغير اللفظية، التي تهدف للحط من قيمة المرأة بإشعارها أنها سيئة من خلال تلقيبها بأسماء حقيرة، أو شتمها أو تعييرها أو حرمانها من التعبيرات العاطفية أو المراقبة والشك بها وسوء الظن أو التهديد، مما يزعزع ثقتها بنفسها ويجعلها تشعر بأنها غير مرغوب بها (فتال: ص14).

وقد مورس العنف النفسي على فردوس مرات عدة في هذه الرواية فقد سبها بيومي حينما أخبرتها بأنها ستخرج لتبحث عن عمل قائلا:" أترفعين صوتك على صوتي يا بنت الشوارع يا ساقطة (السعداوي: 2017م، ص40).

وتتحدث فردوس عن الأثر النفسي لمثل تلك العبارات ووقعها عليها في حديثها عن صديقها ضياء فتقول: " قالها بشيء من السخرية، ولم أعرف سبب سخريته، وقلت: أتسخر من مهنتي أم من مهنة الطبيب؟ قال: من الاثنتين. قلت: وهل هذه كتلك؟ قال: نعم، فيما عدا أن الطبيب يؤدي عمله وهو يشعر أنه محترم. قلت: وأنا؟! قال: أنت غير محترمة. قبل أن تصل كلمة "غير محترمة" إلى أذني رفعت يدي الاثنتين بسرعة وأخفيت أذني لكن الكلمة قد نفذت كالسهم إلى رأسي، ودب الصمت بعد أن أطبق شفتيه وانقطع صوته، لكن الكلمة ظلت باقية في أذني، موجودة في أعمق مكان من أذني، مدفونة في رأسي كشيء مادي له قوام، وله طرف حاد كنصل سكين، شقت الأذن وشقت الرأس ودخلت المخ"(السعداوي: 2017م، ص52).

وقد فعل الشيء نفسه رجل البوليس الذي التقى بها في الشارع قبل أن يسوقها ويغتصبها حين قال مخاطبا لها: " لا تتخابثي علي ولا تساومي معي، وإلا أخذتك إلى نقطة البوليس. قلت لماذا تأخذني؟ أنا لم أفعل شيئا. قال: أنت مومس، وواجبي هو أن أقبض عليك وعلى مثيلاتك لنطهر الوطن منكن ونحمي العائلات الكريمة من فسادكن" (السعداوي: 2017م، ص47).

ثالثا: العنف الجنسي: ونعني بها أجبار المرأة على القيام بأعمال جنسية لا ترغب بها، أو لا تشعر بالراحة للقيام بها، أو ممارسة الجنس معها رغما عنها، دون مراعاة لوضعها الصحي أو النفسي لها أو إجبارها على ممارسة أساليب وطرائق منحرفة أو استغلالها بالبغاء (دراغمه: ص12-13) ومن مظاهر العنف الجنسي في هذه الرواية:

1- التحرش (داخل وخارج الأسرة).

تحكي فردوس ما حدث لها من تحرش داخل أسرتها وهي مازالت صبية فتقول : " وفي أيام الخبيز أعجن وأخبز، أجلس القرفصاء وبين ساقي ماجور العجين، ألت وأعجن، ووهج الفرن في وجهي يحرق أطراف شعري، فلا أعرف أن جلبابي قد انحسر عن فخذي إلا حينما أرى يد عمي تتحرك ببطء من وراء الكتاب الذي يقرؤه وتلمس ساقي، ثم لا تلبث أن تصعد حذرة مرتعشة متلصصة، تبتعد كلما دبت في مدخل الدار قدم، وتلتصق بشدة وبعنف إذا أطبق السكون والصمت، اللهم إلا صوت عود من الحطب أكسر وألقي به في الفرن، أو صوت أنفاسه المنتظمة من وراء الكتاب، لا أرى وجهه، ولا أعرف ما كان نائما يشخر أو يقظا يلهث.(السعداوي: 2017م، ص19-20).

وقد تعرضت للتحرش كذلك خارج أسوار المنزل بعد أن خرجت للشارع بعد هروبها من منزل بيومي وكانت حينها السماء تمطر والبرد قارص فتوقفت بالقرب منها سيارة، تحكي فردوس تفاصيل تلك القصة فتقول:"

كنت أرتعد من الصقيع وفستاني الخفيف المبلل بالمطر يلتصق بجسدي، ويشف من تحته ثدياي بغير مشد، وحلمة الثدي دائرة سوداء بارزة، ضغط عليها بيده وهو يساعدني في ركوب السيارة.(السعداوي: 2017م، ص48)

2- الاغتصاب

فردوس بطلة الرواية هي واحده من ضحايا المجتمع الذي وضع قدميها في أول طرق الانحراف وأسلمها لعالم الضياع فقد تعرضت فردوس لأبشع صور الاغتصاب ، فبيومي الذي ظنت به خيراً كشف عن وجه الحقيقي وصار يغتصبها بصورة وحشيه فتقول :" وأصبح يغلق علي باب الشقة قبل أن يخرج، وأصبحت أنام على الأرض في الحجرة الأخرى، ويأتي في منتصف الليل يشد عني الغطاء ويصفعني ويرقد فوقي.(السعداوي، 2017م، ص40).

وتحكي فردوس قصتها مع رجل الشرطة الذي التقت به بعد هروبها من بيت شريفه ذلك الرجل المنوط بها حفظ الأمن وحماية الضعفاء ومنع الجريمة فتقول : " رأيت رجلاً من رجال البوليس مقبلاً نحوي ، أمسكني من ذراعي وقال: إلى أين تذهبين؟ قلت: لا أعرف. قال: أ تأتين معي؟ قلت: إلى أين؟ قال: إلى بيتي. قلت: لا . لم أعد أثق في رجل. قال: لا تتخابثي علي ولا تساومي معي، وإلا أخذتك إلى نقطة البوليس، حاولت أن أفلت من يده، لكنه أمسكني، وسار بي في أزقة ضيقة مظلمة، ثم أدخلني من باب خشبي صغير، وأرقدني على سرير ثم خلع ملابسه، وأغمضت عيني ، فأحسست بالثقل من فوقي . قبل أن يرمي بها في الشارع مجدداً قائلاً : ليس معي نقود الليلة سأعطيك المرة القادمة.(السعداوي: 2017م، ص47) .

أما حالة الاغتصاب الثالثة فقد تعرضت لها بعد خروجها من منزل ذلك الشرطي وكانت حينها السماء تمطر والبرد قارص التقى بها رجل آخر في الشارع وعرض عليها مساعدتها، ليقودها بعد ذلك بسيارته إلى منزله فتقول: " وفي بيته الدافئ خلع عني فستان والحذاء ذي الطين، وغسل جسدي بماء دافئ وصابون، ثم حملني إلى السرير، وأغمضت عيني فأحسست الثقل فوق صدري وبطني ، وحركة الأصابع نفسها، لكن الأظافر نظيفة مشذبه.(السعداوي: 2017م، ص48).

وأخير التقت بمرزوق وتحكي اغتصابه لها فتقول:" حاول أن يشدني إليه، لكني دفعته بيدي بعيداً، وقلت: أنا لا أخلط بين العمل والحب! قال: لا شيء عندي اسمه مستحيل.

أطبق ذراعيه حولي، وأحسست بالثقل المعهود فوق صدري، لكن جسدي ظل منسحباً منفصلاً عني، جسداً سلبياً تماما (السعداوي: 2017م، ص64).

3- الاتجار الجنسي .

لم يقتصر الأمر على مجرد اغتصاب فردوس بل أنها صارت سلعة يتاجر بها فقد استغلها بيومي كوليمة يدعو عليها رفقاء السوء ليتناوبوا اغتصابها تحكي فردوس فتقول : " وذات مرة أحسست أن جسده أثقل مما كان، وأنفاسه لها رائحة لم أشمها من قبل، وفتحت عيني فرأيت فوق وجهي وجهاً آخر غير وجه بيومي، وقلت: من أنت؟ قال: أنا بيومي، قلت: لست بيومي، قال : أنا وبيومي شيء واحد (السعداوي: 2017م، ص40).

وتحكي فردوس تجربة أخرى مع الاتجار بجسدها حينما التقت بالمرأة سيئة السمعة شريفة صلاح الدين والتي جعلت منها مومس تكسب من وراءها وتجعل الرجال يتناوبون جسدها تقول: "لم أكن أخرج من البيت، بل لم

أكن أخرج من حجرة النوم، بالنهار وبالليل أظل مصلوبة فوق السرير، وفي كل ساعة يدخل رجل، رجال كثيرون، من أين يأتون!(السعداوي: 2017م، ص44).

وتحكي تجربتها مع مرزوق " وظننت أنني نجوت من الرجال، لكن الرجل الذي جاءني هذه المرة كان يرتدي مهنة معروفة ضمن الرجال، هي مهنة القوادين، وظننت أنني سأصرفه بمبلغ من المال.(السعداوي: 2017م، ص63)

" واقتسم هذا الرجل معي أموالي كان يأخذ القسط الأكبر، لكني كنت أرفضه في كل مرة يقترب فيها مني، وأقول له مستحيل، فيضربني ويقول: لا شيء عندي اسمه مستحيل".(السعداوي: 2017م، ص64)

" وأدركت أنني لست حرة كما تصورت وأنني لست إلا آلة جسدية تعمل ليل نهار من أجل أن يثرى بعض الرجال من مختلف المهن ثراء فاحشاً ولم أعد أملك حتى بيتي الذي دفعت فيه عرقي وجهدي"(السعداوي: 2017م، ص64).

4- تشويه الأعضاء التناسلية للإناث.

كذلك تسلط الكاتبة الضوء على واحدة من الانتهاكات التي تتعرض لها الإناث في طفولتهن وهي ظاهرة الخفاض وتشويه الأعضاء التناسلية لهن وهو مظهر من مظاهر العنف الذي يمارس في حق الأطفال" سألت أمي عن أبي ، وكيف ولدتني بغير أب، فضربتني، وأتت بامرأة معها مطواة أو شفرة موس، وقطعوا قطعة من اللحم من بين فخذي (السعداوي: 2017م، ص16).

رابعا: العنف الاجتماعي: ونعني به حرمان المرأة من ممارسة حقوقها الاجتماعية والشخصية، وانقيادها وراء متطلبات الرجل الفكرية والعاطفية، مما يؤدي إلى عدم انخراطها في المجتمع وممارستها لأدوارها[36](العواوده: ص15)، ومن أشكاله تقييد حركتها بعدم السماح لها بزيارة أهلها وصديقاتها، والتدخل في علاقاتها الشخصية واختيارها، وحرمانها من إبداء رأيها، أو اتخاذه في قرارات الأسرة، ويدخل في العنف الاجتماعي العنف التعليمي، كحرمانها من فرص التعليم، بإجبارها على ترك مقاعد الدراسة أو إجبارها على تخصص معين (فتال: ص14).

لم تتح لفردوس فرصة اختيار شريك حياتها بنفسها فقد أجبرت على الزواج من رجل مسن " خالي الشيخ محمود رجل صالح، ومعاشه كبير، وليس له أولاد، وهو وحيد منذ ماتت زوجته العام الماضي، ولو تزوج الشيخ محمود فردوس، لعاشت معه حياة طيبة فردوس كبرت يا سيدنا الشيخ ولابد أن تتزوج، إن بقاءها حتى الآن بغير زواج شيء خطر"

قال عمها: " أنا معك، ولكن الشيخ محمود كبير في السن عليها"

فقالت زوجته " من قال أن كبير؟ أنه لم يحل إلى المعاش إلا هذه السنة، وفردوس ليست صغيرة (السعداوي: 2017م، ص32).

وتقول فردوس : كان قد تجاوز الستين من عمره ولم أكن أتممت التاسعة عشرة (السعداوي: 2017م، ص36).

لكل ذلك قد أصبح الزواج في نظر فردوس شكل من أشكال البؤس الذي سوف تواجه كل امرأة (راقب: 2016م، ص24-25).

كما أنها قد حرمت من ممارسة حقها في التعليم. تحكي فردوس قصة حرمان عمها لها من حقها في إكمال تعليمها فتقول: " الجامعة؟ لتجلس بجوار الرجال؟ شيخ محترم ورجل دين مصلي، يرسل ابنة أخيه لتخالط الرجال؟ ثم من أين أتى بمصاريفها في بيت الطالبات (السعداوي: 2017م، ص36).

وهكذا قد ناقشت الرواية أشكال قهر الرجل للمرأة جسدياً ونفسياً وجنسياً واجتماعياً وذلك من خلال شخصية محورية هي فردوس التي أمضت حياتها متخبطة من شخصيات مشبوهة ومريضة ومزدوجة المعايير في كل ما يخص العلاقات الإنسانية على كل مستوياتها.

وفي ختام حديثنا قد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج هي:

1-رواية امرأة عند نقطة الصفر هي محاولة للخروج عن دائرة المألوف في السرد النسوي الذي ظل لردح من الزمان قابع تحت خباء التقاليد ،لا يغوص في عمق القضايا الاجتماعية التي تتصل بقضايا الجنس والمواقف الخادشة للحياء بسبب القيود التي ضربها المجتمع والتقاليد الأسرية.

2- أثارت الكاتبة في روايتها واحدة من القضايا الهامة التي ظلت تؤرق المجتمع وهي قضية العنف ضد المرأة بكل أنواعه وأشكاله واستطاعت من خلالها روايتها هذه والتي ترجمت لعدة لغات أن تلفت نظر المجتمع والقارئ لخطورتها.

3- على الرغم من الجو المأساوي العام الذي يسود في هذه الرواية إلا أن الرواية ومن خلال براعة السرد تظهر مقدرة الكاتبة وجرأتها في الكشف عن خبايا الأسر والمجتمع وتمزيق الحجب وفتح باب المسكوت عنه أمام القارئ.

4- عملت الكاتبة من خلال روايتها على مضاعفة الإحساس بألم المرأة ونقل قضاياها من حيز الذات إلى القضايا المرتبطة بالأمة جمعا.

المصادر والمراجع:

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م

2- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، "د.ط"، 1999م

3- حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م.

4- الرازي : مختار الصحاح،

5- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث، دار المسيرة للنشر، الأردن، ط1، 2015م.

6- مرفت تلاوي: العنف ضد المرأة، مطبعة المهندسين، الجيزة، ط1، 2012م.

7- نوال السعداوي: امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، "د.ط"، 2017م

الرسائل الجامعية:

1-إخلاص فتال: العنف ضد المرأة لدى سيدات متزوجات من مدينة دمشق، مفاهيم وآثار صحية، رسالة ماجستير في طب الأسرة والمجتمع، جامعة دمشق، دمشق، 2002م.

2- أمل العواودة: العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، رسالة ماجستير ،الجامعة الأر دنية، عمان،1998م.

3- زوليخة بابوري، سليمة عزوق :الأب والسلطة الذكورية في الرواية النسوية الجزائرية " رواية رجالي لمليكة مقدم أنموذجا" ، جامعة بجاية، الجزائر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، 2015م.

4- ديما دراغمة: العنف الأسري وأثره على الصحة النفسية للمرأة الفلسطينية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2002م،

5- عالية أحمد صالح: العنف ضد المرأة بين الفقه والمواثيق الدولية، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في الفقه وأصوله، الجامعة الأردنية، عمان، 2008م.

6- نريمان راقب ، فهيمة حميدي : جمالية المكان في رواية " امرأة عند الصفر، لنوال السعدي " بحث مقدم لنيل درجة البكالريوس، جامعة آكلي محند أولحاج ، البويرة، 2016م.

مواقع الكترونية:

نهله راحيل: الذات والآخر في النص النسوي، مجلة الجديد الإلكترونية، الاثنين 2020/06/01،